الجمهورية اليمنية

بسم الله الرحمن الرحيم

أهم مشكلات الأمة

وكيف عالجها الوحي

إعداد/ محمد نعمان محمد علي البعداني

غفر الله له ولوالديه ولزوجه ووالديهم وإخوانه وذريتهم والمسلمين جميعاً آمين.

١٤٣١هـ /٢٠١٠م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الهادي إلى سواء السبيل، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢]، وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[النساء:١]، وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد، يقول رب العزة في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩].

قال الشنقيطي: «ومن هدي القرآن للتي هي أقوم، هديه إلى حل المشاكل العالمية بأقوم الطرق وأعدلها، ونحن دائماً في المناسبات نبين هدي القرآن العظيم إلى حل ثلاث مشكلات هي من أعظم ما يعانيه العالم في جميع المعمورة ممن ينتمي إلى الإسلام تنبيهاً بها على غيرها»[1].

ثم قام الشيخ عليه -رحمة الله تعالى- بذكر هذه المشكلات الثلاث وبيان كيف عالجها القرآن، فرأيت أن أقوم بإخراج ما ذكره الشيخ -رحمه الله- في بحث مع التصرف بالإضافة والتوسيع وإضافة ما وقفت عليه مما ذكر في السنة من العلاج لهذه المشكلات؛ لأن هذه المشكلات الثلاث المذكورة تعد من أهم مشكلات هذه الأمة، وجعلتها محاور هذا البحث، والذي قمت بتقسيمه إلى مطلبين:

المطلب الأول: الضعف والتسلط، وفيه فرعان:

الفرع الأول: وفيه ذكر المشكلة الأولى وهي ضعف المسلمين عن مقاومة الكفار.

الفرع الثاني: وفيه المشكلة الثانية وهي تسليط الكفار على المؤمنين بالقتل والجراح وأنواع الإيذاء.

المطلب الثاني: الاختلاف، وفيه فرعان:

الفرع الأول: وفيه المشكلة الثالثة وهي اختلاف القلوب.

الفرع الثاني وفيه تتمة تتكون من تنبيهين.

التنبيه الأول: عن الجهل.

التنبيه الثاني: عن الغفلة.

١- أضواء البيان، ٣/٥٠، ٥١.

المطلب الأول: الضعف والتسلط

الفرع الأول: ضعف المسلمين عن مقاومة الكفار

أولاً: تعريف الضعف لغة واصطلاحا

أ- **الضعف لغة:**

قال ابن فارس: «الضاد والعين والفاء أصلان متباينان يدل أحدهما على خلاف القوة... فالأول الضَّعف والضُّعف، وهو خلاف القوة، يقال: ضَعُف يضعُف، ورجل ضعيف وقوم ضُعفاءُ وضِعافٌ»[1].

ب- **الضعف اصطلاحاً:**

وقال الإمام المناوي: «الضعف: وهن القوى حساً أو معنى، ذكره الحرالي، وقال غيره: خلاف القوة، وتكون في النفس وفي البدن وفي الحال، وقيل: بالضم في البدن، وبالفتح في العقل والرأي»[2].

فالمقصود وهن المسلمين وعدم قوتهم في أقطار الدنيا في العَدد والعُدد عن مقاومة الكفار.

إن الضعف يؤدي إلى تفكك المجتمعات، وتفريق الجماعات، وتمزيق الأمة، ويورث الأمة الذل والهوان على الله ثم على الناس، وتكالب الأعداء على الأمة، والهزيمة أمامهم، ويسبب ضعف الإيمان وقلة اليقين [3].

ثانياً: كيف عالج الوحي هذه المشكلة

لقد هدى الله تعالى عباده في كتابه العزيز -القرآن العظيم- إلى حل هذه المشكلة بأقوم الطرق وأعدلها؛ فبين أن علاج الضعف عن مقاومة الكفار إنما هو بصدق التوجه إلى الله تعالى، وقوة الإيمان به والتوكل عليه؛ لأن الله قوي عزيز قاهر لكل شيء، فمن كان من حزبه على الحقيقة لا يمكن أن يغلبه الكفار ولو بلغوا من القوة ما بلغوا، ومن الأدلة المبينة لذلك أن الكفار لما ضربوا على المسلمين ذلك الحصار العسكري العظيم في غزوة الأحزاب المذكور في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[الأحزاب:١٠].

كان علاج ذلك بصدق التوجه إلى الله تعالى وقوة الإيمان به والتوكل عليه، مع شدة هذا الحصار العسكري وقوة أثره في المسلمين مع أن جميع أهل الأرض في ذلك الوقت قد قاطعوهم سياسياً واقتصادياً، فإذا عرفت ذلك فاعلم أن العلاج الذي قابلوا به هذا الأمر العظيم وحلوا به هذه المشكلة

١- مقاييس اللغة، ٣/٣٦٢.

٢- التعاريف، ص٤٧٣.

٣- موسوعة نضرة النعيم: ١٠/٤٧٩٤.

العظمى هو ما بينه جل وعلا بقوله: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾[الأحزاب:٢٢]، فهذا الإيمان الكامل، وهذا التسليم العظيم لله جلَّ وعلا ثقةً به وتوكلاً عليه هو سبب حل هذه المشكلة العظمى، وقد صرح الله تعالى بنتيجة هذا العلاج في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً * وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً * وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾[الأحزاب:٢٢-٢٧]، وهذا الذي نصرهم الله به على عدوهم ما كانوا يظنونه ولا يحسبون أنهم ينصرون به وهو الملائكة والريح قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾[الأحزاب:٩].

ولما علم جلَّ وعلا من أهل بيعة الرضوان الإخلاص الكامل ونوه عن إخلاصهم بالاسم المبهم الذي هو الموصول في قوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾[الفتح:١٨] أي: من الإيمان والإخلاص كان من نتائج ذلك ما ذكره الله جلَّ وعلا في قوله: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾[الفتح:٢١] فصرح جلَّ وعلا في هذه الآية بأنهم لم يقدروا عليها وأن الله جلَّ وعلا أحاط بها فأقدرهم عليها وذلك من نتائج قوة إيمانهم وشدة إخلاصهم، فدلت الآية على أن الإخلاص لله وقوة الإيمان به هو السبب لقدرة الضعيف على القوي وغلبته له: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة:٢٤٩]، وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾، فعل في سياق النفي والفعل في سياق النفي من صيغ العموم، والمعنى لا قدرة لكم عليها، وهذا يعم سلب جميع أنواع القدرة؛ لأن النكرة في سياق النفي تدل على عموم السلب وشموله لجميع الأفراد الداخلة تحت العنوان كما هو معروف في محله، وبهذا تعلم أن جميع أنواع القدرة عليها مسلوب عنهم، ولكن الله جلَّ وعلا أحاط بها فأقدرهم عليها لما علم من الإيمان والإخلاص في قلوبهم: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[الصافات:١٧٣].

ويوم بدر نصرهم الله تعالى وهم أذلة في قلة عددهم وعددهم مع كثرة عدد عدوهم وعددهم بصدق توكلهم على الله واعتمادهم عليه واستجلابهم النصر منه، ولهذا يقول تعالى في كتابه مذكراً

لعباده المؤمنين وللأمة من بعدهم بسر النصر والتمكين في معركة الفرقان: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[آل عمران:١٢٣].

قال الإمام ابن كثير في تفسيرها: «﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي: قليل عددكم لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العَدد والعُدد، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً﴾[التوبة:٢٥]»[١].

وقال الإمام السعدي: «وهذا امتنان منه على عباده المؤمنين وتذكير لهم بما نصرهم به يوم بدر وهم أذلة في قلة عَددهم وعُددهم مع كثرة عَدد عدوهم وعُددهم.

القصة في سورة الأنفال فإن ذلك موضعها ولكن الله تعالى هنا أتى بها ليتذكر بها المؤمنون ليتقوا ربهم ويشكروه»[٢].

ويتكرر مشهد معركة الفرقان في أرض بدر كأنه هو في معركة الفرقان في أرض غزة في هذا العصر بعد أكثر من ألف وأربعمائة وخمسة وعشرين عاماً ليتوجه من خلال هذا المشهد التأكيد على ما توجه من خلال المشهد السابق، رسالة سماوية ربانية تعلن عن القدرة الإلهية القاهرة، رسالة نصر وتبشير للمؤمنين الصادقين المخلصين الواثقين المتوكلين، ورسالة نذير وتحذير للأعداء والعملاء والخانعين والمتذبذبين، رسالة تتنزل فيها ملائكة السماء لتحمل السلاح وتذود عن المؤمنين الصادقين، وتقمع الأعداء والخائنين، رسالة تعلن للأمة جمعاء أن النصر من عند الله لمن توكل عليه واعتمد عليه.

ومما عالج به القرآن هذه المشكلة التحذير من مخالفة الشريعة إذ بين الله تعالى أن مخالفة الشريعة الإسلامية وعدم العمل بها وتحكيمها على مستوى الفرد والمجتمع، سبب للبلايا والفتن والخسران قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣]، فقوله: ﴿فِتْنَةٌ﴾ أي: محنة في الدنيا، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى قوله: ﴿فِتْنَةٌ﴾ قتل، وعن عطاء: زلازل وأهوال، وعن جعفر بن محمد: يسلط عليهم سلطان جائر، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة[٣]، وأي محنة على الأمة أشد من الضعف الذي أذلها وأركعها للأعداء وأعوانهم العملاء، وسلط عليهم الظلمة والجبابرة.

ومن المخالفة لأمر الله تعالى الانكباب والإقبال على الذنوب والمعاصي والشهوات المحرمة التي طغت على المجتمعات الإسلامية فأورثتها الضعف والذل والهوان والصغار، قال الإمام البخاري: «وَيُذْكَرُ عن ابن عمر عن النبي ﷺ: "جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ على من

١- تفسير ابن كثير ١/٤٠١.

٢- تفسير السعدي، ص١٤٦.

٣- الكشاف، ٣/٢٦٥.

خَالَفَ أَمْرِي"[1]، ورواه أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم"**[2] وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك.

ومما عالجت به السنة النبوية هذه المشكلة التحذير من حب الدنيا وكراهية الموت، فعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **"يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، وليترعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت"**[3].

فقد سيطر الوهن على الأمة واستقر في كثير من القلوب فلا يستطيع أهلها الحراك إلى المقامات العالية والجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته؛ لأن حبهم للدنيا وشهواتها من مآكل ومشارب وملابس ومساكن وغير ذلك أقعدهم عن طلب المعالي وعن الجهاد في سبيل الله فيخشون أن تفوتهم هذه الأشياء[4].

١- أخرجه البخاري، ١٠٦٧/٣ معلقاً.

٢- أخرجه أحمد في المسند، ٥٠/٢ برقم: ٥١١٥، قال الهيثمي: «رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن ثابت وثقه ابن المديني وغيره وضعفه أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات» مجمع الزوائد، ٦١/٦ برقم: ٩٨٩٧، وقال الألباني: «ولم يتفرد به ابن ثوبان» يريد عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان الذي ذكره الهيثمي، إرواء الغليل، ١٠٩/٥ برقم: ٥١١٥.

٣- أخرجه أبي داود، ٥١٤/٢ برقم: ٤٢٩٧، قال الألباني: «صحيح»، السلسلة الصحيحة، ٦٤٧/٢ برقم: ٩٥٨.

٤- انظر: مجموع فتاوى ابن باز(٣٠)جزءا، ١٠٩/٥، وأسباب ضعف المسلمين وتأخرهم، فتوى للشيخ صالح الفوزان نقلاً عن فتاوى موقع الألوكة: http://www.alukah.net، ودروس صوتية للشيخ سلمان العودة قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: http://www.islamweb.net

الفرع الثاني: تسليط الكفار على المؤمنين

أولاً: تعريف التسلط لغة واصطلاحاً:

أ- التسلط لغة:

السلطة لغة: التسلط والسيطرة والتحكم، وتسلط عليه تحكم وتمكن وسيطر[1]، والسلاطة القهر.

قال ابن فارس: «سلط: السين واللام والطاء أصل واحد وهو القوة والقهر من ذلك السلاطة من التسلط وهو القهر ولذلك سمي السلطان سلطانا»[2]، وقال ابن منظور: «السلاطة القهر، وقد سلطه الله فتسلط عليهم والاسم سلطة بالضم»[3].

ب- التسلط اصطلاحاً:

اصطلاحاً: حالة تنطوي على معاني الإملاء والتحكم والرغبة في فرض السيطرة على الآخرين[4].

ثانياً: كيف عالج الوحي هذه المشكلة

إن مشكلة تسليط الكفار على المؤمنين بالقتل والجراح وأنواع الإيذاء مع أن المسلمين على الحق والكفار على الباطل مشكلة استشكلها أصحاب النبي ﷺ فأفتى الله جل وعلا فيها وبين السبب في ذلك بفتوى سماوية تتلى في كتابه جلّ وعلا، وذلك أنه لما وقع ما وقع بالمسلمين يوم أحد فقتل عم رسول الله ﷺ وابن عمته، ومثل بهما، وقتل غيرهما من المهاجرين، وقتل سبعون رجلاً من الأنصار، وجرح صلى الله عليه وسلم، وشُقَّت شفته وكسرت رباعيته وشج ﷺ، استشكل المسلمون ذلك وقالوا: كيف ينال منا المشركون ونحن على الحق وهم على الباطل؟! فأنزل الله قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾[آل عمران:١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾ فيه إجمال بينه تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٥٢]، ففي هذه الآية بيان واضح لأن سبب تسليط الكفار على المسلمين هو فشل المسلمين وتنازعهم في الأمر، وعصيانهم أمره ﷺ، وإرادة بعضهم الدنيا مقدماً لها على أمر الرسول ﷺ، ومن عرف أصل الداء عرف الدواء كما لا يخفى.

---

[1]- المعجم الوسيط، ٤٤٣/١.

[2]- مقاييس اللغة، ٩٥/٣.

[3]- لسان العرب، ٣٢٠/٧.

[4]- مفاهيم إسلامية، انظر: موقع وزارة الأوقاف المصرية: http://www.islamic-council.com

قال السعدي: «﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ أي: من أين أصابنا ما أصابنا وهزمنا! قل هو من عند أنفسكم ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾ حين تنازعتم وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، فعودوا على أنفسكم باللوم، واحذروا من الأسباب المردية»[1].

ومما عالج به القرآن الكريم هذه المشكلة الإرشاد إلى الأخذ بأسباب العزة والقوة والنصر والتمكين كإعداد العدة للعدو، قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[الأنفال:٦٠].

وهذا الإعداد شامل لكل إعداد سواء من جهة الصناعة، ومن جهة السلاح الكافي الذي يخيف العدو ويعين على قتاله وجهاده وأخذ الحق منه، ومن جهة صرف الأموال فيما ينبغي إعداده للعدو والتحرز من شره والدفاع عن الدين والأوطان، وإعداد الأبدان للجهاد، وعدم الخلود إلى الرفاهية التي تضعف القوى والقلوب عن مقاتلة العدو والجهاد، وعدم الرضى بأخذ الحاجات من العدو، وإيجاد الهمة العالية في إنتاجها من البلاد وثرواتها[2].

إن وجود الصناعة والإعداد والقوة بقدر المستطاع بكل وسيلة من الفروض الكفائية على الأمة، حتى لا تكون حاجاتها عند عدوها، وحتى يعلم عدوها ما لديها من الإعدادات والاستعدادات فيرهبها وينصفها ويعطيها حقوقها ويقف عند حده.

قال السعدي: ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم، ﴿مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات والبنادق والطيارات الجوية والمراكب البرية والبحرية والقلاع والخنادق وآلات الدفاع والرأي والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتعلم الرمي والشجاعة والتدبير، ولهذا قال النبي ﷺ: "ألا إن القوة الرمي"[3]، ومن ذلك الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته، فإذا كان شيء موجوداً أكثر إرهاباً منها كالسيارات البرية والهوائية المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد كانت مأموراً

١- تفسير السعدي، ص١٥٦.

٢- انظر: مجموع فتاوى ابن باز(٣٠)جزءا، ١٠٣/٥، بتصرف.

٣- أخرجه أبو داود، ١٦/٢ برقم: ٢٥١٤، قال الألباني: «صحيح» صحيح سنن أبي داود، ٤٧٨/٢ برقم: ٢١٩٤.

بالاستعداد بها والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة وجب ذلك؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[1].

وقال الشيخ ابن باز: «فلا بد من إعداد العدة البدنية والمادية وسائر أنواع العدة من جميع الوجوه حتى نستغني بما أعطانا الله سبحانه عما عند أعدائنا، فإن قتال أعدائنا بما في أيديهم من الصعب جداً الحصول عليه، فإذا منع العدو عنك السلاح فبأي شيء تقاتل؟ مع ضعف البصيرة وقلة العلم... فإذا صدق المسلمون وتكاتفوا وأعدوا لعدوهم ما استطاعوا من العدة ونصروا دين الله، فالله يعينهم وينصرهم سبحانه وتعالى، ويجعلهم أمام العدو وفوق العدو لا تحت العدو، يقول الله وهو الصادق في قوله ووعده: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد:٧]، وقوله: ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٩]، والله ليس بعاجز ولا في حاجة إلى الناس، ولكنه يبتلي عباده الأخيار بالأشرار ليعلم صدق الصادقين وكذب الكاذبين، وليعلم المجاهد من غيره، وليعلم الراغب في النجاة من غيره، وإلا فهو القادر على نصر أوليائه وإهلاك أعدائه من دون حرب ومن دون حاجة إلى جهاد وعدة وغير ذلك كما قال سبحانه ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾[محمد:٤]»[2].

قال شيخ الإسلام مبيناً أسباب تسلط الأعداء وقهرهم وترفعهم على أمة الإسلام: «فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول سلطت عليهم الأعداء، فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرة بعد مرة، وأخذوا الثغور الشامية شيئا بعد شيء إلى أن أخذوا بيت المقدس في أواخر المائة الرابعة، وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق وكان أهل الشام بأسوأ حال بين الكفار النصارى والمنافقين الملاحدة إلى أن تولى نور الدين الشهيد وقام بما قام به من أمر الإسلام وإظهاره والجهاد لأعدائه، ثم استنجد به ملوك مصر بنو عبيد على النصارى فانجدهم، وجرت فصول كثيرة إلى أن أخذت مصر من بني عبيد أخذها صلاح الدين يوسف بن سادى وخطب بها لبني العباس، فمن حينئذ ظهر الإسلام بمصر بعد أن مكثت بأيدي المنافقين المرتدين عن دين الإسلام مائة سنة، فكان الإيمان بالرسول والجهاد عن دينه سبباً لخير الدنيا والآخرة، وبالعكس البدع والإلحاد ومخالفة ما جاء به سبب لشر الدنيا والآخرة، فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الإلحاد والبدع سلط عليهم الكفار ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار تحقيقاً لقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ

---

[1] - تفسير السعدي، ص٣٢٤،٣٢٥.

[2] - مجموع فتاوى ابن باز(٣٠)جزءا، ٥/١٠٩، ١١٠.

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الصف:١٠-١٣]، وكذلك لما كان أهل المشرق قائمين بالإسلام كانوا منصورين على الكفار المشركين من الترك والهند والصين وغيرهم فلما ظهر منهم ما ظهر من البدع والإلحاد والفجور سلط عليهم الكفار قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً * فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً * عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً﴾[الإسراء:٤-٨]»[1].

قال السعدي: «﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: تقدمنا وعهدنا إليهم وأخبرناهم في كتابهم أنهم لا بد أن يقع منهم إفساد في الأرض مرتين بعمل المعاصي والبطر لنعم الله والعلو في الأرض والتكبر فيها، وأنه إذا وقع واحدة منهما سلط الله عليهم الأعداء وانتقم منهم، وهذا تحذير لهم وإنذار لعلهم يرجعون فيتذكرون، ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا﴾ أي: أولى المرتين اللتين يفسدون فيهما أي إذا وقع منهم ذلك الفساد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾ بعثاً قدرياً وسلطنا عليكم تسليطاً كونياً جزائياً، ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي: ذوي شجاعة وعدد وعدة فنصرهم الله عليكم فقتلوكم وسبوا أولادكم ونهبوا أموالكم ﴿فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ﴾ وهتكوا الدور ودخلوا المسجد الحرام وأفسدوه ﴿وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً﴾ لا بد من وقوعه لوجود سببه منهم»[2].

فإذ كانت هذه هي الأسباب فالحل في معالجتها، فمن عرف أصل الداء عرف الدواء، يقول ابن باز: «فالواجب على عامة المسلمين وأمرائهم وحكامهم، وأهل الحل والعقد فيهم أن يتقوا الله عز وجل ويحكموا شريعته في بلدانهم وسائر شئونهم، وأن يقوا أنفسهم ومن تحت ولايتهم عذاب الله في الدنيا والآخرة، وأن يعتبروا بما حل في البلدان التي أعرضت عن حكم الله، وسارت في ركاب من قلد الغربيين، واتبع طريقتهم، من الاختلاف والتفرق وضروب الفتن، وقلة الخيرات، وكون بعضهم يقتل بعضا، ولا يزال الأمر عندهم في شدة، ولن تصلح أحوالهم ويرفع تسلط الأعداء عليهم سياسياً وفكرياً إلا إذا عادوا إلى الله سبحانه، وسلكوا سبيله المستقيم الذي رضيه لعباده، وأمرهم به ووعدهم به جنات النعيم»[3].

---

[1] - مجموع الفتاوى، ١٧٨/١٣.

٢- تفسير السعدي، ص ٤٥٣، ٤٥٤.

[3] - مجموع فتاوى ابن باز(٣٠)جزءا، ٧٩/١.

المطلب الثاني: الاختلاف

الفرع الأول: اختلاف القلوب

أولاً: تعريف الاختلاف لغة واصطلاحاً:

أ- الاختلاف لغة:

افتعال مصدر اختلف، واختلف ضد اتفق، وتخالف القوم واختلفوا إذا ذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، وتخالف الأمران واختلفا لم يتفقا، وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف، والخِلاف -بالكسر- المُضادة وقد خالفهُ مخالفة وخلافاً، والخِلافُ: المُخَالَفَةُ[1].

ب- الاختلاف اصطلاحاً:

قال أبو القاسم الحسين بن محمد: «والاختلاف والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله»[2].

إن اختلاف القلوب من أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمة الإسلامية؛ لاستلزامه الفشل وذهاب القوة والدولة، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[الأنفال:٤٦]، فترى المجتمع الإسلامي اليوم في أقطار الدنيا يضمر بعضهم لبعض العداوة والبغضاء وإن جامل بعضهم بعضاً فإنه لا يخفى على أحد أنها مجاملة وأن ما تنطوي عليه الضمائر مخالف لذلك.

ثانياً: كيف عالج الوحي هذه المشكلة

أولاً: بين الله سبحانه وتعالى في سورة الحشر أن سبب هذا الداء الذي عَمت به البلوى إنما هو ضعف العقل قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[الحشر:١٤].

ثانياً: بين أن داء ضعف العقل -الذي يصيبه فيضعفه عن إدراك الحقائق وتمييز الحق من الباطل والنافع من الضار والحسن من القبيح- لا دواء له إلا إنارته بنور الوحي؛ لأن نور الوحي يحيا به من كان ميتاً، ويضيء الطريق للمتمسِّك به، فيريه الحق حقاً، والباطل باطلاً، والنافع نافعاً، والضار ضاراً، قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[الأنعام:١٢٢]، وقال تعالى: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ﴾[البقرة:٢٥٧]، ومن أُخرج من الظلمات إلى النور أبصر الحق؛ لأن ذلك النور يكشف له عن الحقائق فيريه الحق حقاً والباطل باطلاً، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ

---

[1]- تاج العروس، ٢٣/٢٧٥، والمصباح المنير، ١/١٧٩، ولسان العرب، ٩/٩١، والمحكم والمحيط الأعظم، ٥/٢٠٠، والقاموس المحيط، ١/١٠٤٥، وأثر اختلاف المتون والأسانيد في اختلاف الفقهاء ص٥.

[2]- المفردات في غريب القرآن، ص١٥٦، ومثله قال الفيروز أبادي في بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ١/٧٣٧.

أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الملك:٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ * وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ﴾[فاطر:١٩-٢٢]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾[هود:٢٤]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الإيمان يكسب الإنسان حياة بدلاً من الموت الذي كان فيه، ونوراً بدلاً من الظلمات التي كان فيها، وهذا النور عظيم يكشف الحقائق كشفاً عظيماً كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[النور:٣٥].

قال الشنقيطي: «ولما كان تتبع جميع ما تدل عليه هذه الآية الكريمة من هدي القرآن للتي هي أقوم يقتضي تتبع جميع القرآن وجميع السنة؛ لأن العمل بالسنة من هدي القرآن للتي هي أقوم لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[الحشر:٧]، وكان تتبع جميع ذلك غير ممكن في هذا الكتاب المبارك اقتصرنا على هذه الجمل التي ذكرنا من هدي القرآن للتي هي أقوم تنبيهاً بها على غيرها والعلم عند الله تعالى»[١].

ج- من هدي الوحي للتي هي أحسن في علاج اختلاف القلوب

لما كان علاج هذه المشكلة بالتمسك التام بتعاليم القرآن والسنة المطهرة، وكان تتبع جميع ذلك غير ممكن في هذا البحث الصغير، فإني سأشير هنا إلى شيء من هدي الوحي للتي هي أقوم مما يعين الأمة والمجتمعات على التخلص من خطر اختلاف القلوب فيما يلي:

١- تحقيق سر اتحاد القلوب والتئامها وعدم فرقتها وهو الإيمان الذي يدعو إلى ذلك؛ فإن الله سبحانه وتعالى جعل المبدأ العقدي أساساً للعمل كله، وجعل الاتحاد والالتئام جارياً على هذا المبدأ، فقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[الشورى:١٣]، فالمبدأ الأول:﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾، والمبدأ الثاني: ﴿وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[٢].

٢- الاجتماع على الأصول العامة المستقرة الناصعة الواضحة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتي اتفق عليها المسلمون من فجر التاريخ، لا على الاجتهادات الفردية التي لا تتوقف ولا تنتهي، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ

١- أضواء البيان، ٣/٥٤.

٢- دروس للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي مصدرها الشاملة الإصدار الثالث ٢٤ / ٢.

﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[النساء:٥٩]، وقال رسول الله ﷺ: **"وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله"**[١].

٣- اتباع سبيل الصحابة وأتباعهم من الأئمة المهديين بإحسان، قال ﷺ: **"قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين"**[٢]، وما أحسن ما قاله الإمام مالك: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»[٣]، والذي أصلح أمر أول هذه الأمة هو اتباع الكتاب والسنة وترك الابتداع، ونبذ الاختلاف والتنازع المفضي إلى الفرقة.

٤- تقوية الوازع الديني، والذي يدعو إلى التوقي من ظلم الناس، وإلى تدعيم التفكير الموضوعي والمحاكمة العقلية العادلة لدى الناشئة، وهذا من مسؤوليات الأسر في البيوت، ومن مسؤوليات المدارس والجامعات وكل المرافق التربوية ووسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية.

٥- سعة القلوب بحيث لا تحمل حقداً أو كراهيةً أو بغضاء لمسلم، ولا تتهم مسلماً بسوء ظن وهي تجد له من الخير محملاً.

٦- سعة في العقول بحيث تُقدر اجتهادات الآخرين، وتفهم دوافعهم وآرائهم وحججهم في كل أمر، وتجعل ميداناً واضحاً في الأمور التي يمكن الخلاف فيها، وميداناً أيضاً واضحاً للتعاون حتى مع الذين يختلفون معهم[٤].

٧- تحسين الظن بالآخرين؛ لأن كثيراً من أسباب فساد القلوب واختلافها مردها إلى سوء الظن، وانعدام الثقة، فإذا حَسَّنَ أحدنا ظنه بأخيه المسلم، وحكم عليه بما ظهر منه، زالت كثير من تلك الأسباب، وصفت القلوب، واطمأنت النفوس، وتحققت الألفة والمحبة، ولهذا نهى النبي ﷺ عن سوء الظن، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث"**[٥]، قال الإمام النووي: « المراد النهي عن ظن السوء»[٦].

٨- إجابة الدعوات والإكثار من الزيارات في جميع المناسبات تذيب كثيراً من تلك الاختلافات والأوهام.

٩- اللقاءات الدورية والندوات المشتركة والاجتماعات تقرب من وجهات النظر.

١- رواه مسلم، ٢/ ٨٨٦ برقم: ١٢١٨.

٢- مسند أحمد ،١٢٦/٤ برقم: ١٧١٨٢، قال شعيب الأرنؤوط: «حديث صحيح بطرقه وشواهده وهذا إسناد حسن».

٣- مجموع الفتاوى ٢٤١/١.

٤- دروس للشيخ سلمان العودة، الدرس الثالث عشر، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: http://www.islamweb.net

٥- أخرجه البخاري ٥/ ٢٢٥٣ برقم: ٥٧١٧، ومسلم ٤/ ١٩٨٥ برقم: ٢٥٦٣.

٦- شرح النووي على صحيح مسلم ١١٨/١٦.

١٠- التثبت من أي كلام يسمع امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ﴾[الحجرات:٦]، وقد نزلت هذه الآية الكريمة في الوليد بن عقبة بن أبي معيط وقد أرسله النبي ﷺ إلى بني المصطلق من خزاعة ليأتيه بصدقات أموالهم فلما سمعوا به تلقوه فرحاً به فخاف منهم وظن أنهم يريدون قتله فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وزعم له أنهم منعوا الصدقة، وأرادوا قتله، فقدم وفد منهم إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنا حُدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق وإنا خشينا أن يكون إنما رده كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله[١]، وقد كان رسول الله ﷺ استعتبهم وهم بهم فأنزل الله عز وجل الآية[٢].

فكثير من الأحداث والقضايا يحصل فيها ملابسات كما حصل في قصة الوليد بن عقبة حيث ظن أن القوم خرجوا لقتله فرجع إلى النبي ﷺ وأخبره بأن القوم منعوا الصدقة؛ لأنه لما ظن في نفسه بأن القوم خرجوا لقتله استنتج من هذا الظن بأنهم قد عزموا على منع الصدقة وبالتالي أخبر النبي ﷺ بمنعهم الصدقة، وما أكثر ما يحصل في الأمور من هذا القبيل في الواقع، فتجد شخصاً يسمع جزء من كلام إنسان، أو يسمع كلامه بتمامه ولا يستوعبه، فينقل ما فهم، وتجد طرفاً صاحب أغراض وأهواء يعمد إلى الدس في أقوال الناس وأفعالهم، ولا حل مع أمثال هؤلاء جميعاً إلا بالتثبت من كل ما يسمعه الإنسان ويُنقل إليه، وما المقصود منه عند القائل أو الفاعل، ولهذا تجد أن أعقل الناس المشهود لهم بالحكمة والرأي والسداد هم من يتثبتون في كل ما يسمعون ويقال لهم، وهذه قاعدة إلهية سماوية عظيمة غفل الناس عنها أعظم غفلة، فتمكن الشيطان وأعوانه من التوغل بينهم لدس وساوسهم، بل الأدهى والأمر في غفلة الدعاة وبعض العلماء عن هذه القاعدة العظيمة التي حوتها هذه الآية التي تكفل لجميع البشرية الأخوة والمحبة والأمن والاستقرار والود والرحمة، ولو أن الناس طبقوها في بيوتهم ومجتمعاتهم لسعدت البيوت والأسر والمجتمعات والدول والأمة بأسرها، وزال اختلاف القلوب وفسادها، ولما تجرأ أحد من نقل الكلام دون تثبت؛ لأنه سيعمل أن من ينقل إليه الكلام سيتثبت ويبحث ولو لم يكن صادقاً فإنه في زمرة الفاسقين، ولهذا حذر النبي ﷺ من الكلام بكل ما يسمع الإنسان، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال **"كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع"**[٣]، وفي رواية: **"كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع"**[٤]، قال الإمام النووي: «وأما معنى الحديث... الزجر عن

١- أضواء البيان ٧/٤١٠.

٢- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٥٤ برقم: ١٧٧٥٤، وانظر: السلسلة الصحيحة للإمام الألباني ٨/٩٥ برقم: ٣٠٨٨.

٣- أخرجه أبو داود ٢/٧١٦ برقم: ٤٩٩٢.

٤- أخرجه مسلم ١/١٠ برقم: ٥.

التحديث بكل ما سمع الإنسان فانه يسمع في العادة الصدق والكذب فإذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن»[1].

١١- ما صح من المنقول إلينا علينا أن نحمله على أحسن وجه، عملاً بما ذكره سعيد بن المسيب قال: كتب إليَّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شراً و أنت تجد له في الخير محملا، و من عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه[2]، وقال جعفر بن محمد : إذا بلغك عن أخيك الشيء تنكره فالتمس له عذراً واحداً إلى سبعين عذرا فإن أصبته و إلا قل لعل له عذراً لا أعرفه[3].

١٢- العفو والصفح عن الزلات لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ **" أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود"**[4]، قوله: **"أقيلوا"** أمر من الإقالة أي: اعفوا، **"ذوي الهيئات"** أي: أصحاب المروءات والخصال الحميدة[5].

١٣- الحذر من الغيبة -آفة المجالس- فهي مرض خطير، وداء فتاك، ومعولٌ هدام، وسلوك يفرق بين الأحباب، ويمزق الجماعات، وبهتان يغطي على محاسن الآخرين، وبذرة تنبت شروراً بين المجتمع المسلم، وتقلب موازين العدالة والإنصاف إلى الكذب والجور، وقد عدها الإمام ابن حجر الهيثمي من الكبائر حين قال: «فظهر أن الذي دلت عليه الدلائل الكثيرة الصحيحة الظاهرة أنها كبيرة لكنها تختلف عظماً وضده بحسب اختلاف مفسدتها كما مر في كلام الأذرعي، وظهر أيضاً أنها الداء العضال والسم الذي في الألسن أحلى من الزلال، وقد جعلها من أوتي جوامع الكلم عديلة غصب المال وقتل النفس بقوله: **"كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"**[6]»[7]، وقد عرفها النبي النبي ﷺ بقوله: **"أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته"**[8].

١- شرح صحيح مسلم ١/٧٥.

٢- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/٣٢٣ برقم: ٨٣٤٥.

٣- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/٣٢٣ برقم: ٨٣٤٤.

٤- أخرجه أحمد في المسند ٦/ ١٨١ برقم: ٢٥٥١٣، وأبو داوود ٢/٥٣٨ برقم: ٤٣٧٥، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/٢٣١ برقم: ٦٣٨.

٥- عون المعبود ١٢/٢٥.

٦- أخرجه مسلم ٤/ ١٩٨٦برقم: ٢٥٦٤.

٧- الزواجر ٢/٥٥٥.

٨- أخرجه مسلم ٤/٢٠٠١ برقم: ٢٥٨٩.

إن علاج هذا المرض لا يكون إلا بالعلم والعمل، فإذا عرف المغتاب أنه يتعرض لسخط الله يوم القيامة بإحباط عمله وإعطاء حسناته من يغتابه أو يحمل عنه أوزاره، وأنه يتعرض لهجوم من يغتابه في الدنيا، وقد يسلطه الله عليه، ويعذب في النار بأكل النتن القذر، وينال عقاب الله في قبره، وتذهب أنوار إيمانه وآثار إسلامه، ولا يغفر له حتى يعفو عنه المغتاب، وأنها معولٌ هدام وشر مستطير، وتؤذي وتضر، وتجلب الخصام والنفور، وأنها مرض اجتماعي يقطع أواصر المحبة بين المسلمين، وهي دليل على خسة المغتاب ودناءة نفسه، فإذا علم هذا وعمل بمقتضاه من الخير فقد وفق للعلاج[1].

١٤- منع الأتباع والأقارب والأخوة والأبناء من نقل الأخبار عن الغير إلا ما كان على سبيل النصح والإرشاد، فكثير من الجفاء وتوغير الصدور مرده إلى تلك النقول، ولا تقل أخي الكريم: أخبرني الثقة؛ لأن الثقة لا يبلِّغ[2].

ولنعلم بأن هذه النقول هي بعينها النميمة التي حذر منها النبي ﷺ، فعن حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **"لا يدخل الجنة نمام"**[3]، وفي رواية: **"لا يدخل الجنة قتات"**[4]، والقتات هو النمام، والنميمة هي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم[5].

قال الإمام الغزالي: «حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أبو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء، وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال، وسواء كان ذلك عيباً ونقصاً في المنقول عنه أو لم يكن، بل حقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه، بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له»[6].

١- موسوعة نضرة النعيم ١١/ ٥١٦٣، ٥١٦٤،٥١٧٧.

٢- العقد الفريد ١٧٠/٢، والأمالي في لغة العرب ٣٠٦/٢.

٣- أخرجه مسلم ١٠١/١ برقم: ١٠٥.

٤- أخرجه البخاري ٢٢٥٠/٥ برقم: ٥٧٠٩.

٥- شرح صحيح مسلم للنووي ١١٢/٢.

٦- إحياء علوم الدين ١٥٦/٣.

والواجب على كل إنسان تجاه النمام ستة أمور: **الأول**: ألا يصدقه؛ لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة لقوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ**﴾[الحجرات:٦]، **والثاني**: أن ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله، **والثالث**: أن يبغضه في الله تعالى فإنه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى.

والرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**﴾[الحجرات:١٢]، **والخامس**: أن لا يحملك ما حُكي لك على التجسس والبحث اتباعاً لقول الله ﴿**وَلَا تَجَسَّسُوا**﴾، **والسادس**: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكي نميمته، فتكون به نماماً ومغتاباً.

وتعالج النميمة بما تعالج به الغيبة، وهو إما إجمالي بأن يعلم النمام أنه قد تعرض بها لسخط الله تعالى وعقوبته وأنها تحبط حسناته، وتذكي نار العداوة بين المتآلفين، وتؤذي وتضر وتؤلم، وتجلب الخصام والنفور، وتزيل كل محبة وتبعد كل مودة وتآلف وتآخ، وبأن يتدبر المرء في عيوبه ويجتهد في التطهر منها، وأن يعلم أن تأذي غيره بالغيبة أو بالنميمة كتأذيه بها فكيف يرضى لغيره ما يتأذى به؟! وأما التفصيلي فيتلخص في النظر في بواعثها فيقطعها من الأصل؛ إذ علاج العلة إنما يكون بقطع سببها، وألا يعتقد المرء في أخيه سوءا، وأن يبادر إلى التوبة بشروطها[1].

١٥- عدم الخوض في الجدل والمنازعات والخصومات، والذي علينا هو بيان الحق وتجلية السنة.

١٦- لا نقصر حقوق المسلم على أفراد جماعتنا ومناطقنا وعائلاتنا وأسرنا، فهي حقوق عامة لكل المسلمين، عصاة كانوا أم طائعين.

١٧- المحافظة على الأخوة العامة بين المسلمين وعدم حصر ها في أفراد جهات معينة، وكذلك الولاء والبراء.

١٨- أن يشتغل كل منا بعيوبه وسلبياته، فما أكثر عيوبنا وما أخطر سلبياتنا.

١٩- الصبر والمداراة لإخوة العقيدة ورفقاء الدرب.

٢٠- تذكر البشرية وأن كل إنسان يخطئ ويصيب، ولا عصمة لأحد من البشر كائناً من كان، حتى العلماء والدعاة والقادة والأمراء.

٢١- أن يكون بغضك وحبك في الله ولله، وأن لا يكون مبنياً على الموافقة والمخالفة، مع الاعتدال في الحب والبغض لحديث: **"أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما"**[2]، قال الإمام المناوي: «أي ربما انقلب ذلك بتغيير الزمان والأحوال بغضاً فلا تكون قد أسرفت في حبه فتندم عليه إذا أبغضته أو حباً فلا تكون قد أسرفت في بغضه فتستحي منه إذا أحببته ذكره ابن الأثير»[3].

٢٢- أن تكون الموالاة على أساس أخوة الإسلام وبقدر ما فيه من خير وإيمان.

٢٣- تبرَّأ من الأعمال والأقوال السيئة، ولا تتبرأ من فاعلها، فقد قال صلى الله عليه وسلم عندما قتل خالد متأولاً بني جذيمة: **"اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد"**[4]، و لم يتبرأ من خالد.

١- موسوعة نضرة النعيم ١١/ ٥٦٧١.

٢- أخرجه الترمذي ٣٦٠/٤ برقم: ١٩٩٧، صححه الألباني انظر: الجامع الصغير وزيادته ١٨/١ برقم: ١٧٨.

٣- فيض القدير ١٧٦/١.

٤- أخرجه البخاري ٢٦٢٨/٦ برقم: ٦٧٦٦، والحديث عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: **"بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا صبأنا صبأنا فجعل خالد يقتل ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره فأمر كل رجل منا أن يقتل أسيره فقلت والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجلاً من أصحابي أسيره فذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد مرتين"**.

٢٤- لا نحاسب على ما مضى فالتوبة كالإسلام تجبان ما قبلهما.

٢٥- نعمل على أن لا تفترق صفوفنا وإن لم تتوحد آراؤنا.

٢٦- العودة إلى المعيار الإسلامي في التفاضل، وهو التقوى والاستقامة والنفع العام والتفوق في الأداء، ونشر هذا المعنى على أوسع نطاق.

٢٧- نشر الروح الإيجابية والتفكير الإيجابي، إذ أن على المسلم أن يركز على رؤية الإيجابيات، وعلى ما لدى الناس من فضل وخير، ويتعلم غض الطرف عن النقائص والهفوات، فذلك أسلم لقلبه وأفضل لدينه، وأعون له على مواجهة مشاق الحياة[١].

٢٨- الحذر من الحسد الذي فيه إسخاط الله تعالى ومعارضته، واجتناء الأوزار في مخالفته، إذ ليس يرى قضاء الله عدلاً، ولا لنعمه من الناس أهلا، وهو حسرات على النفس، وفيه سقم الجسد، ثم لا يجد لحسرته انتهاء، ولا يؤمل لسقامه شفاء، ويسبب انخفاض المنزلة، وانحطاط المرتبة، ومقت الناس له حتى لا يجد فيهم محباً، وعداوتهم له حتى لا يرى فيهم ولياً، فيصير بالعداوة مأثورا، وبالمقت مزجورا، ويجلب النقم ويزيل النعم، وهو منبع الشرور العظيمة، ومفتاح العواقب الوخيمة، ويورث الحقد والضغينة في القلب، وهو معول هدم في المجتمع، ودليل على سفول الخُلق ودناءة النفس[٢].

عن عبد الله بن عمرو قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: **"كل مخموم القلب صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد"**[٣].

١- موسوعة الدين النصيحة ٢٨٦/١، وموسوعة البحوث والمقالات العلمية ٢٤٧ / ٢، والتعصب للدكتور عبد الكريم بكار، انظر: موسوعة البحوث والمقالات العلمية، ومقالات وبحوث الدكتور عبد الكريم بكار ١٩٢/١، ١٩٣.

٢- موسوعة نضرة النعيم، ١٠/ ٤٤٢٩.

٣- أخرجه ابن ماجه، ١٤٠٩/٢ برقم: ٤٢١٦، قال الألباني: «صحيح»، صحيح سنن ابن ماجة، ٤١١/٢ برقم: ٣٣٩٧.

الفرع الثاني: تتمة

أذكر فيها تنبيهين:

- **التنبيه الأول:**

ليعلم أن السبب الرئيس الذي تنشأ عنه كثير من المشكلات هو الجهل بالله وبدينه وبالحقائق التي يجب التمسك والأخذ بها، وبالعواقب التي استولت على الأكثرية، فصار العلم قليلاً والجهل غالباً.

- **كيف عالج الوحي هذا السبب**

أرشد الله تعالى في كتابه ونبيه ﷺ في سنته إلى التحصن بالعلم، وقد سمى الله ﷻ العلم الذي بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم نوراً وهدى وحياة، وجعله روحاً لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح، ونوراً لما يحصل به من الهدى والرشاد، بينما سمى ضده ظلمة وموتاً وضلالاً، قال الإمام ابن القيم: «والجهل نوعان: جهل علم ومعرفة... وجهل عمل وغي، وكلاهما له ظلمة ووحشة في القلب، وكما أن العلم يوجب نوراً وأنساً فضده يوجب ظلمة ويوقع وحشة، وقد سمى الله سبحانه وتعالى العلم الذي بعث به رسوله نوراً وهدى وحياة، وسمى ضده ظلمة وموتاً وضلالاً، قال الله تعالى: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[البقرة:٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[الأنعام:١٢٢]، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[المائدة:١٥-١٦]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾[النساء:١٧٤]، وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف:١٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا﴾[الشورى:٥٢]، فجعله روحاً لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح، ونوراً لما يحصل به من الهدى والرشاد»[1].

فمتى وُجد العلم تبدد ظلام الجهل واضمحل، ومتى اضمحل الجهل وتبدد وذهب انقشعت معه سحابة هذه المشكلات ليعقبها نور العلم الذي به صلاح البلاد والعباد في المعاش والمعاد، ويدل على ذلك قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: **"من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"**[2]، إذ يدل هذا الحديث على أن من علامات الخير والسعادة للفرد والشعب والدولة أن يتفقهوا في الدين؛ لأن التفقه

١- مدارج السالكين، ١٦٣/٣.

٢- أخرجه البخاري، ٣٩/١ برقم: ٧١، ومسلم، ٧١٨/٢ برقم: ١٠٣٧.

في الدين يعطي المعلومات الكافية عن الآخرة وعن الجنة ونعيمها وقصورها وما فيها من خير عظيم، وعن النار وعذابها وأنكالها وأنواع ما فيها من العذاب، فيكسب القلوب نشاطاً في طلب الآخرة وزهداً في الدنيا وإعداداً للأعداء وحرصاً على الجهاد في سبيل الله والاستشهاد في سبيله ﷻ، كما أن التفقه في الدين يعطي الشعوب والولاة والحكام النشاط الكامل في كل ما يحبه الله ويرضاه وفي البعد عن كل ما يغضب الله ﷻ، ويعطي القلوب الرغبة الكاملة في الاتحاد مع بقية المسلمين والتعاون معهم ضد العدو وفي إقامة أمر الله وتحكيم شريعته والوقوف عند حدوده، فالجهل داء عضال يميت القلوب والشعور ويضعف الأبدان والقوى ويجعل أهله أشبه بالأنعام لا يهمهم إلا شهوات الفروج والبطون، وما زاد على ذلك فهو تابع لذلك من شهوات المساكن والملابس، فالجاهل قد ضعف قلبه وضعف شعوره وقلت بصيرته، فليس وراء شهوته الحاضرة وحاجته العاجلة شيء يطمح إليه ويريد أن ينظر إليه[1].

قال ابن باز: «فطريق النجاح، وطريق التقدم ضد الأعداء وعدم الضعف أمامهم، وطريق الفلاح والنجاح والحصول على المقامات العالية والمطالب الرفيعة والنصر على الأعداء، طريق كل ذلك هو في الإقبال على العلم النافع، والتفقه في الدين، وإيثار مرضاة الله على مساخطه، والعناية بما أوجب الله، وترك ما حرم الله، والتوبة إلى الله مما وقع من سالف الذنوب ومن التقصير، توبة صادقة، والتعاون الكامل بين الدولة والشعب على ما يجب من طاعة الله ورسوله، والكف عن محارم الله عز وجل، وعلى ما يجب أيضاً من إعداد العدة»[2].

- **التنبيه الثاني:**

وليعلم أيضاً أن من الأسباب الرئيسية التي تنشأ عنها كثير من المشكلات بعد الجهل هو الغفلة عن الداء، فالمريض متى عرف داءه وعرف دواءه فهو جدير بأن يبادر إلى أخذ الدواء ثم يضعه على الداء، هذه طبيعة الإنسان العاقل الذي يحب الحياة ويحب الخلاص من الأمراض، يهمه أن يعرف الداء وأن يعرف الدواء، بخلاف من تغلب عليه الداء واستولى عليه حتى يرضى به ويستلذ وحتى يموت شعوره، فلا يبالي بمن يصف له الدواء؛ لأن الداء صار سجية وطبيعة له يرتاح له ويقنع بالبقاء معه؛ لانحراف مزاجه وضعف بصيرته وغلبة الهوى عليه وعلى عقله وقلبه وتصرفاته كما هو الواقع في أكثر الناس بالنسبة للأدواء الدينية وعلاجها، فقد استلذ الأكثر وطاب له البقاء على أمراضه وسيئاته التي أضعفته وعطلت حركاته وجعلته لا يحس بالداء في الحقيقة ولا يحس بنتائجه ولا بما يترتب عليه في العاجل والآجل، ولا ينشد الدواء ولا يحرص عليه ولو وصف له وبين له ولو كان قريباً منه؛ لأنه لا يهمه

---

[1]- مجموع فتاوى ابن باز(٣٠)جزءا، ١٠٦/٥.

[2]- المصدر نفسه، ١٠٩/٥.

ذلك، وما ذاك إلا لاستحكام الداء وارتياح النفس له وخفاء ضرره عليه وعدم الهمة العالية لتحصيل المطالب العالية[1].

إن غفلة وتغافل الأمة عن الداء واستحكامه فيها من أهم الأسباب التي أوقعتها في مثل هذه المشكلات، فالغفلة تجلب الشيطان وتسخط الرحمن، وتميت القلب، وتنزل عليه الهم والغم، وتبعد عنه الفرح والسرور، وهي مدعاة للوسوسة والشكوك، وتورث العداوة والبغضاء وتذهب الحياء والوقار بين الناس، وتبلد الذهن وتسد أبواب المعرفة، وتبعد العبد عن الله- عز وجل- وتجره إلى المعاصي، وكما أن الغفلة هي من أهم الأسباب التي تزج في أهلها في النار يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[الأعراف:١٧٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[يونس:٧-٨]، فهي من أهم أسباب المشكلات والمعضلات والفتن التي تصيب هذه الأمة في الدنيا.

وفي الختام أسأل من الله تعالى أن يهدي جميع المسلمين حكومات وشعوباً إلى الأخذ بأسباب القوة والعزة والنصر والتمكين، وأن يوحد قلوبنا ويؤلف بينها، وأن ينير حياة أمة الإسلام بالعلم والإيمان، وأن يهدي الجميع لما يحب ويرضى، وأن يأخذ بنواصينا جميعاً للبر والتقوى، إنه ولي ذلك والقادر عليه سبحانه وتعالى، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا الكريم وأزواجه وآله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

جمع وإعداد/ محمد نعمان محمد علي البعداني

١٢/رجب/١٤٣١ الموافق له: ٢٠١٠/٦/٢٣م

مراجعة الدكتور/ قسطاس إبراهيم النعيمي

الشيخ/ عبد الكريم الفهدي

الشيخ/ رياض عيدروس

---

[1]- مجموع فتاوى ابن باز(٣٠)جزءا، ١٠١/٥، ١٠٢.